مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 23 العدد 02 السنة 2023 ص ص549/566
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

الحبيب ثامر والمسألة القومية من خلال وثيقتين حول المرأة (1930) وتعليم اللغة العربية (1932)

Habib Thamer and the National Question through Two Documents on Women (1930) And Teaching the Arabic Language (1932)

الدكتور: مراد المولاهي
جامعة جندوبة تونس

تاريخ الاستلام: 06 / 09/ 22 **تاريخ القبول**: 07 / 10/ 22

Abstract:
This research is an attempt to examine the presence of the Arab nationalist ideology in the thought and the anticolonialist fight of Dr. Habib Thameur since his adhesion at the beginning of the thirties of the last century to the association of the Arab Union constituted by Iraqi student and diplomatic personalities residing in Paris long before April 1932. This is the capture of this thought through two documents, one dating from 1930 and the other from 1932 dealing with how the emancipation of Tunisian women in a paternalistic nationalist option by limiting its field of action in the education of children and their preparation to serve the nation and the need to provide them with this education in their national Arabic language by recruiting competent teachers for the task. This explains, following the founding of the Destourian student cell in Paris in 1936, the appearance of strategic

and tactical differences in the positioning of the two leaders vis-à-vis the emancipation of Tunisian women for one circumscribed and oriented and for the other free and total (code of personal status promulgated on August 13, 1956), alliances during the War between Allies and Axis forces and finally the premises of the Afro-Asian non-alignment of Thameur against the Western alignment of the leader Bourguiba during the Cold War at the end of the Second World War.

Keywords:

Habib Thamer . Hbabib Bourguiba . Second World War. Nationalist. ideology. Women. Arabic language

المؤلف المرسل: مراد المولاهي

البريد الالكتروني: mourad.moulahi@hotmail.com

الملخص: .

يطمح مقالنا إلى تبْيان رسوخ إيديولوجية القومية العربية في فكر و نضال الدكتور الحبيب ثامر منذ مطلع الثلاثينات من القرن الماضي أي إثر انضوائه إلى جمعية " الوحدة العربية" بباريس قبل شهر أفريل 1932 و لذي نتلمّس حضوره من خلال مقاربته الأبوية لمسألة النهوض بالمرأة التونسية و دورها في "تربية أبناء الشعب حتى يصيروا لوطنهم صالحين يشعرون بواجبهم الاجتماعي وتلك خطة ذات شأن عظيم وهي أسّ لقوام المجتمع وحفظ كيانه " القومي (سنة 1930) من جهة وفي وجوب تعليمها بلغتها القومية أي باللغة العربية التي هي في أوكد الحاجة إلى " معلمين أكفاء ... يعلمون البنت لغة أجدادنا الكرام حتى تنْشأ صالحة معتزّة بقوميتها وتبثّ ذلك في ذهن ولدها حتى يكون وطنيا غيورا" (1932) من جهة ثانية. و هي المقاربة التي ستجعل الدكتور الحبيب ثامر إثر تأسيسه صحبة رفيقه الهادي نويرة الشعبة الطالبية الدستورية بباريس سنة 1936 ، يختلف مع الزعيم الحبيب بورقيبة في نسج علاقات وثيقة بالقومية الألمانية عن طريق الأمير شكيب أرسلان و يساند قوى المحور ضد الحلفاء و يشهّر بالطلبة التونسيين الذين يتزوّجون بالغربيات و يختار المقاومة المسلحة في إطار مغاربي يجمع الحركات الوطنية الثلاث التونسية و الجزائرية و المغربية تحت إشراف الأمير عبد الكريم الخطابي بطل الريف اللاجئ بمصر منذ سنة

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

1947 و يؤسس لسياسة عدم الانحياز عكس خيار الزعيم بورقيبة للغرب في إطار الحرب الباردة بين القوتين العظمتين الأمريكية الليبيرالية و السوفياتية الشيوعية.

الكلمات المفتاحية:

الحبيب ثامر.الحبيب بورقيبة.الحرب العالمية الثانية .القومية العربية .المراة .اللغة العربية.

مقدمة

في سياق انهيار الإمبراطورية العثمانية و هزيمتها ضمن قوى المركز ضد الحلفاء (نوفمبر 1918)، شهدت اللوائية الإسلامية أو ما يسمى بسياسة الجامعة الإسلامية la politique panislamiste التي انتهجها ثالوث جمعية " الاتحاد و الترقي " في الحكم ، أنور و طلعت و جمال باشا، المسيّر لدواليب الدولة العثمانية طوال الحرب، اهتزازا تدريجيا ملحوظا عصف بالخلافة الإسلامية (مارس 1924) و فسح المجال للأمير شكيب أرسلان (1869-1946) و إحسان الجابري (1879-1980) الوطنيين اللبناني والسوري للدعوة و التنظير لإيديولوجية القومية العربية، و تأسيس مجلتي " الأمة العربية" La Nation Arabe و " الشعب العربي" Le Peuple Arabe للدفاع عن حقوق العرب والحركة الوطنية السورية، باللغة الفرنسية في جنيف سنة 1930[1]. و طرحت مسألة نهضة الأمم و الشعوب العربية و تشكل مفهوم الأمة و الهوية القومية و رصد الحلقات الواصلة بين الوطنية بالمعنى الضيق و الأخوة الإسلامية للبلورة و التحليل و التعريف في سياق مناهض للاستعمار الفرنسي الجاثم على شمال إفريقيا حينذاك[2]

و في الصدد، يشير سعيد (بحيرة) إلى مرجعية كل من الزعيمين بورقيبة الفرنسية وثامر الألمانية في خصوص البناء القومي مركّزا على " التباين بين مسار البناء القومي الفرنسي الذي أضعف الدولة لفائدة المؤسسات، و المسار الألماني الداعي إلى بعث الدولة وضرورة دعمها للقومية لجمع شتات الأمة و الحفاظ على وجودها، و إنجاز تطلعاتها في جميع الميادين" و مبرزا المفارقة الألمانية القائمة على " التحالف العريض الذي حصل بين الأرستقراطية البروسية و الجيش و البيروقراطية و البورجوازية الصناعية بإنجاز الوحدة

الألمانية بدل الطبقات التي يفترض أن تكون أكثر ثورية مثل الفئات الوسطى و العمال. إذ ساهمت حروب نابليون بونابرت في إذكاء المشاعر القومية، وتسببت في قيام التحالف البروسي النمساوي الروسي الذي هزم الجيوش الفرنسية، و سمح بقيام التحالف القومي داخل بروسيا. و نتج عن الصراع مع فرنسا بروز تيار ثقافي و فكري قومي يدعو إلى وحدة الدويلات الألمانية باعتبارها تتكلم نفس اللغة ، و تشترك في الميول و السجايا و التاريخ"[3]. و يعتبر الفيلسوف الألماني فيخته(Fichte) من أبرز ممثلي هذا الاتجاه اعتمادا على الخطابات التي وجهها إلى الأمة الألمانية سنة 1807 و الذي يجعل من اللغة الألمانية ميزة جوهرية يمكن اعتمادها لتوحيد الشعب الألماني.، داعيا إلى تحديد الخطر و العمل على مواجهته غبر التربية و الأدب و المحافظة على اللغة.

و كان انخراط الطالب في الطب، الحبيب ثامر في نشاط جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا منذ سنة 1933 متحملا مسؤوليات في مكتبها من جهة وفي جمعية الوحدة العربية منذ 1932 من جهة ثانية الدليلعلى وقع الدعاية التي أنجزها الأمير شكيب أرسلان اتجاه الطلبة المغاربة و التونسيين[4]. و اختار الطالب الحبيب ثامر أن يدلو بدلوه في الجدل الذي أثاره الاشتراكيون الفرنسيون الماسونيون بتونس حول مسألة الحجاب و تعليم المرأة في الفترة المتراوحة من 1924 - 1929 [5] ناشرا مقاله حول مسألة المرأة في شهر جوان 1930 و سابقا بأشهر قليلة صدور كتاب " إمرأتنا في الشريعة و المجتمع" (أكتوبر 1930). و كانت مقاربته مختلفة عن ما نشره أنصار الحداد في المسألة المطروحة و خصومه. إذ كانت معالجته لتحرير المرأة التونسية أبوية، إذ يجعل لها وظيفة مخالفة لوظيفة الرجل والمتمثلة في " تربية أبناء الشعب حتى يصيروا لوطنهم صالحين يشعرون بواجبهم الاجتماعي وتلك خطة ذات شأن عظيم وهي أسّ لقوام المجتمع وحفظ كيانه. وقد تستدعي للقيام بها مهارة ودراية لا تكتسب إلا بالتعليم ولا يمكن أن نجدها عند الأم الجاهلة فيجب علينا إذا أردنا حقيقة رقي شعبنا والسير به إلى الأمام أن نعلّم بناتنا ونرفع مستواهنّ حتى يقمن بعملهن أحسن قيام"[6].

كما طرح ثامر برنامجا تعليميا خاصا بالمرأة التونسية يعدّها " لوظيفة الأمومة ":

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

" نثقفها ثقافة عامة ونزوّدها بقسط وافر من المعلومات الشاملة ما يجب أن تعلم من شؤون الحياء ونربّي في نفسها شخصية بارزة تشعرها بالمسؤولية التي تترقّبها وبواجبها نحو وطنها وتغذّي ذهنها بالتعاليم الوطنية حتى تنشأ على حبّ وطنها وتغرس ذلك في فكر ولدها منذ صباه فتسعد به الأمة.

" و ممّا يجب أن تعطى له عناية خاصة هو تهذيب أخلاقها وذلك بأن نعلمّها المبادئ الدينية التي تهدي إلى الصراط المستقيم وتكسب صاحبها الأخلاق الفاضلة الحميدة ونحفظها أقوال الحكماء والأدباء والأمثال السائرة التي هي كنز عظيم و ذخر ثمين من تجارب الحياة ولا ننسى تعليمها آداب المعاشرة لتكوّن أسرة فاضلة وبيتا سعيدا ويجب الاهتمام بالفنون الجميلة لأنها تهذّب ذوقها تعوّدها على النظام.

" و كما أنّا نربّي فكرتها، نربّي بدنها بالألعاب الرياضية المختلفة الأنواع. و لنعلّمها قبل كل شيء تاريخ بلادها والانتصارات التي كتبت على صفحاته بمداد الذهب فتفتخر بها. والفاجعات التي صدمته في كرّ الأيام ومرّ العشى فتنشأ معتزّة بقومتها ساعية في رقي وطنها المفدّى.

" وممّا يجب إلفات الأنظار إليه هو أن لا يكون التعليم إلا بلغتنا القومية باللغة العربية فعار علينا أن نهْمل لغتنا ونعلّم البنت لغة أخرى..."[7].

نستشف من البرنامج المعِدّ لتربية المرأة التونسية و تثقيفها أنه موكول لها واجب " غرس التعاليم الوطنية في فكر ولدها منذ صباه" بواسطة لغة قومية سليمة أي لغة عربية يلقنها

معلمون أكفاء " إذ كلّنا يعلم أن اللغة هي أوثق رابطة بين أفراد الأمّة وهي ركن من الأركان التي تُبنى عليها دعائم الوطن فتُكوّن وحْدته حتى يصير الشعب كإنسان واحد يتتبع مرمى واحدا فإذا لا نهتم بلغتنا ولا نحافظ عليها انحلت تلك الرابطة وتلاشت واضمحلت وحدة الشعب فيسير إلى فوضى لا مهرب منها وإن لنا أسوة حسنة بتلك الأمم التي حافظت عللغتها وسفكت دمها في هذا السبيل بأمة كبولونيا التي كانت تضطهدها الدولة الروسية

وتذيقها أمرّ العذاب لتقْتل لغتها وعوائدها، ولكنّه قد أخْفق مسْعاها وذهب أدْراج الرّياح لقوة عزيمة أهل البلاد و محافظتهم على لغتهم وعوائدهم. و قد ضحّوا في سبيلها أنفسا لا يحصى عددها إلا الله وها هي الآن قد أصبحت أمّة تعتبر في العالم وتعَدّ من الأمم المتمدّنة فليكن لنا عبرة ودرسا ولنحافظ على لغتنا و قوميتنا إذا أردنا أن لا يمْحَى ذكْرنا من صفحات التاريخ ولنعلّم البنت باللغة العربية لغة أجدادنا الكرام حتى تنْشأ صالحة معتزّة بقوميتها وتبثّ ذلك في ذهن ولدها حتى يكون وطنيا غيورا".

أجل وجب التذكير بالحالة السياسية والاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية المتردية للإيالة التونسية في مطلع الثلاثينات : استهداف التونسي في معاشه اليومي جراء تداخل انعكاسات الأزمة الاقتصادية المحلية (قحط و جراد و فيضانات و تفقير شرائح المزارعين الصغار و الحرفيين و استدانتهم) و الدولية (الأزمة الاقتصادية الرأسمالية العالمية لسنة 1929) وفي هويته (الشخصية التونسية العربية الإسلامية) إثر انتهاج سياسة الفرنسة و التجنيس و الرامية إلى إدماج التونسي و انصهاره في البوتقة الحضارية الغربية ، هذه العوامل المتصلة بالعمل الدعائي للأمير شكيب أرسلان اتجاه الطلبة التونسيين و المغاربة المتأثر بالمنوال الألماني إثر تحقيق وحدة الدويلات البروسية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر و رفع شعار استقلال المستعمرات الفرنسية أثناء الحرب العالمية الأولى، أثرت حتما في المقاربة التي طرحها الطالب الحبيب ثامر بالنسبة لتعليم المرأة لا كما يريدها الاستعمار الفرنسي و لكن كما تتراءى للخط الوطني الناهض[8]. إذ أسس الاستعمار الفرنسي أيديولوجيته في الاحتلال على ثلاثة منطلقات مركزية في المغرب العربي: التشكيك في مكانة الإسلام، مع الحكم على نخبه السياسية بالعجز في حقل بناء الدولة و تنظيم المجتمع، و بالتالي الإقرار بانعدام وحدة وطنية (تاريخية اجتماعية و إثنية) لشعوب المنطقة و مكوناتها الاجتماعية و الثقافية[9].

و من هنا، فإن الرؤية الأبوية التي صبغت مقترح الحبيب ثامر في الوظيفة المنوطة بعهدة المرأة الناهضة و المتمثلة في التربية العائلية و الثقافة العامة وحسن الأخلاق ووظيفة الأمومة و زرع حب الوطن ، كانت ناتجة لا فقط عن شعور وطني و وعي بمقومات الشخصية الوطنية التونسية كما نظر لها محمد الجعايبي سنة 1924 بل أيضا عن إدراك

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

بركنها العربي الإسلامي و رغبة في الاستقلال.و في هذا السياق، انتقد الطالب التونسي القومي العربي الحبيب ثامر في تقريره سنة 1932 حول حالة التعليم و التربية بالمدارس الابتدائية بتونسعدم اعتناء مدرسة ترشيح المعلمين " بإحضار المعلمين الأكفاء و تركها العربية لمن ليست لهم خبرة فنية بالتعليم. و لو أنه هنالك فرع للعربية لكنه غير مستقل و تعليمه غير ملائم لحاجيات البلاد و عدد متخرجيه غير كاف إذ تلاميذه لا تتجاوز 27 تلميذا و الإدارة ترفض طلب كل من زاد على هذا العدد ثم عدّد اقتراحات استخلصها من بحثه في جعل العربية مادة رسمية للامتحانات. و إعطائها حظها في التعليم بتسويتها مع الفرنسية و توحيد البرامج و اختيار الكتب الصالحة، و إعطاء معلّمها الحقوق التي لزملائهم معلّمي الفرنسية و إعداد معلّمي العربية إعدادا كافيا من جهة العدد والكفاءة"[10].

و هنا تبرز الروح القومية الوطنية لدى الحبيب ثامر و تمتزج لديه مع عداء للتقليد الأعمى للغرب، فينتقد الفتاة المتعلمة في المدارس الفرنسية و التي قلدت الغربية "تقليدا أعمى في جميع الأشياء، و لم تكن لتتخذ الحسن من المدنية الغربية و لكنها أقبلت على ما كان يبهر عقلها و مخيلتها من الظواهر و القشور وارتمت على ما يسهل تقليده و هو المساوئ و الرذائل و كل ما هو مستهجن "[11].

و الجدير بالملاحظة ، أن ما رافق مقال الطالب الحبيب ثامر في مسألة المرأة سنة 1930 و ما تضمنه تقريره حول حالة التعليم و التربية سنة 1932 من حضور إيديولوجي وطني قومي عربي سيزداد التزاما بالتوجه القومي العربي حين إنهاء دراسته في الطب سنة 1938 و رجوعه إلى تونس و الذي تزامن مع فترة القمع الاستعماري الذي تلى أحداث 9 أفريل 1938 و انخراط الحزب الحر الدستوري الجديد في المقاومة و العمل السري. وتفيدنا مذكرات الباهي الأدغم الحديثة الصدور (2019) أن الطبيب المناضل، الحبيب ثامر كان منخرطا في الحزب القومي العربي و مضطلعا بمهام الرئيس المسؤول عن القطر التونسي[12].و كان المنخرط في صلب هذه الحركة ملزما بأداء اليمين التالي: " أقسم أن الوطن العربي بكليته وطني، و أن الأمة العربية بكليتها أمتي، و أن حزبي هذا (يعني الحزب القومي)

يمثل إرادتها، و تصح مصالح الأشخاص و الجماعات إن وافقتها، و تفسد إن خالفتها. و أقسم بالله و يشرفني أن أنفذ هذا المبدأ القومي العربي و أوقف نفسي و مالي على إنجاح حركته"[13].

و سوف تكتمل مرجعية الحبيب ثامر الإيديولوجية القومية العربية أثناء فترة الاحتلال الألماني الإيطالي للإيالة (7 نوفمبر 1942- 13 ماي 1943) عبر إشرافه على صحيفة " إفريقيا الفتاة " (جانفي - ماي 1943) و نشره المقالات التالية : الوطن و الوطنية، الزعيم و الحركة الوطنية، الإيمان بالشخصية الوطنية[14]. و يتضح أن خلافه مع الزعيم بورقيبة كان إيديولوجيا: حيث ساند المحور ضد الحلفاء عكس ما طلبه الزعيم في رسالته الشهيرة المؤرخة في موفى أوت 1942 من الابتعاد عن أي مساندة أو تحالف مع ألمانيا كذلك ارتأى خلال الحرب و بعدها بأفضلية المقاومة المسلحة عن العمل السياسي في إطار مغاربي ضد الاستعمار الفرنسي انطلاقا من القاهرة و تحت إشراف بطل الريف الأمير عبد الكريم الخطابي و لم يكن مساندا للزعيم بورقيبة في خياره الغربي الأمريكي أثناء الحرب الباردة بل كان من دعاة عدم الانحياز الإفريقي الآسوي.

الخاتمة

تعود الروح القومية للدكتور الحبيب ثامر الى سبق الى انضمامه الى الحزب القومي العربي الثوري سنة 1937 وكان المنخرط في صلب هذه الحركة ملزما بأداء اليمين التالي "اقسم ان الوطن العربي بكليته وطني وان الامة العربية بكليتها امتي وان حزبي هذا (يعني الحزب القومي)يمثل ارادتها وتصح مصالح الأشخاص والجماعات ان وافقتها وتفسد ان خالفتها واقسم بالله ويشرفني ان انفذ هذا المبدأ القومي العربي واوقف نفسي و مالي على انجاز حركته" وسبق ان انضم الى جمعية "الوحدة العربية رفقة الطالب الهادي نويرة .

قائمة المراجع

- إفريقيا الفتاة، 21 جانفي 1943. دراسات: الوطن و الوطنية ص 1.
- إفريقيا الفتاة، 3 فيفري 1943. الإيمان بالشخصية التونسية ص 2.
- الصواب،12 جويلية 1924. وطنيون قبل كل شيء، محمد الجعايبي.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

- الباهي الأدغم الزعامة الهادئة. ذكريات و شهادات وخواطر. تونس، دار " نيرفانا"، 2019.
ثامر (الحبيب): مسألة المرأة في النشرية السنوية لجمعية طلبة شمال إفريقيا بفرنسا، السنة الجامعية 1929 - 1930، تطوان، مطبعة النهضة، 1930.
- ثامر (الحبيب): حالة التعليم و التربية بالمدارس الابتدائية بتونس (ملخص تقرير) في نشرة أعمال المؤتمر الثاني لطلبة شمال إفريقيا المسلمين، الجزائر 1932. تونس، مطبعة الاتحاد، 1932 .
- نشرة الجمعية لعامي 1931 - 1932. جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا. تونس، مطبعة الاتحاد، 1932.
- الشايبي (محمد): النخبة الطالبية التونسية و قضية تحرير المرأة في الثلاثينات في المجلة الصادقية، عدد31، 2003.
- الذاتية العربية بين الوحدة و التنوع.مركز الدراسات و الأبحاث الاقتصادية و الاجتماعية، 1979:بشروش (توفيق): القومية القطرية في تونس قبيل الحماية.
- مالكي (امحمد): الحركات الوطنية و الاستعمار في المغرب العربي. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1993.
- ضيف الله (محمد): الحركة الطالبية التونسية (1927 - 1939).تونس، مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات، 1999.
شاطر(خليفة): بروز الهوية القومية في تونس.
- المولاهي (مراد): 2020.2021 الدعاية الألمانية و أثرها في الرأي العام التونسي خلال الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945). دكتوراه في التاريخ و الآثار و التراث، كلية الآداب و الفنون و الإنسانيات بمنوبة تونس.
- Identité culturelle et conscience nationale en Tunisie. Cahier du CERES, juin 1975, série Sociologie, n°2 :
Bouhdiba (A.) : Discours introductif.

Guezmir (K.) : Fait national et conscience nationale. Approche théorique.

-Ory (Pascal) : Qu'est-ce qu'une nation ? Une histoire mondiale. Paris, Gallimard, 2020

الهوامش

[1]- انظر: جوليان (شارل أندري): إفريقيا الشمالية تسير. القوميات الإسلامية و السيادة الفرنسية. ترجمة المنجي سليم، الطيب المهيري، الصادق المقدم، فتحي زهير، الحبيب الشطي. تونس/الجزائر، الدار التونسية للنشر/ الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1976(الشرق و الوحدة العربية، ص: 27– 35).

[2]- انظر: مساهمتي بشروش (توفيق) و شاطر (خليفة) المنشورتين تباعا ضمن أعمال ملتقى الذاتية العربية بين الوحدة و التنوع. تونس، مركز الدراسات و الابحاث الاقتصادية و الاجتماعية، 1979،تحت عنوان:

القومية القطرية في تونس قبيل الحماية، ص. 95– 119 و بروز الهوية القومية في تونس ص: 187 – 204.

[3]- بحيرة (سعيد):فكرة الأمة التونسية: مدلولها و تجلياتها (1919 – 1939). بحث لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية بتونس، السنة الجامعية 1998 – 1999.

[4]- ضيف الله (محمد):الحركة الطالبية التونسية (1927–1939). زغوان، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، 1999، ص: 193–194، 229، 237–238، 268–269.

و أدرج المؤلف مقتطفات من مقال ثامر حول المرأة في الملاحق ص: 321 – 322.

– بن يوسف (عادل): النخبة العصرية التونسية. طلبة الجامعات الفرنسية 1880–1956. كلية الآداب و العلوم الإنسانية بسوسة، 2006،ص: 313–317.

[5]- راجع :

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

الشايبي (محمد لطفي): الحداد و بورقيبة معركة السفور و اللقاء المؤجل (1924 – 1956). تونس، منشورات سوتيميديا، 2019، ص: 53 – 64.

– Tunis–Socialiste, 16 janvier 1929. Lettre ouverte à une jeune musulmane étudiante à Paris (Il s'agit de Tawhida Ben Cheikh), par Eve Noëlle.

– Tunis–Socialiste, 29 février 1924. Lettres d'une musulmane, par Eve Noëlle.

– Tunis–Socialiste, 24 avril 1924. Les femmes et l'école, par Eve Noëlle.

– Tunis–Socialiste, 30 juin 1924. Lettres aux dames musulmanes, par Eve Noëlle.

[6]- ضيف الله (محمد):الحركة الطالبية التونسية...، مرجع سابق، ص: 237.

[7]- ثامر (الحبيب): مسألة المرأة في النشرية السنوية لجمعية طلبة شمال إفريقيا بفرنسا، السنة الجامعية 1929 – 1930، تطوان، مطبعة النهضة، 1930، ص: 10 – 16.

[8]- الشايبي (محمد لطفي):الحركة الوطنية التونسية و المسألة العمالية النقابية. الجزء الثاني 1925 – 1943.

تونس، مركز النشر الجامعي، 2015، ص: 241 – 269.

– Mahjoubi (Ali) : Les origines du mouvement national tunisien 1904–1934. Tunis, PUT, 1982.

[9]-مالكي (محمد): الحركات الوطنية و الاستعمار في المغرب العربي.بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1993، ص:217.

[10]- ثامر (الحبيب): حالة التعليم و التربية بالمدارس الابتدائية بتونس (ملخص تقرير) في نشرة أعمال المؤتمر الثاني لطلبة شمال إفريقيا المسلمين، الجزائر 1932. تونس، مطبعة الاتحاد، 1932، ص: 122– 126.

[11]- ضيف الله (محمد):الحركة الطالبية...، مرجع سابق، ص:238

[12]- الباهي الأدغم الزعامة الهادئة. ذكريات و شهادات و خواطر. تونس، دار " نيرفانا"، 2019، ص: 513-514

[13]- الباهي الأدغم الزعامة الهادئة. ذكريات و شهادات و خواطر. تونس، دار " نيرفانا"، 2019، ص: 513-514.

[14]- " **إفريقيا الفتاة**"، **21 جانفي 1943. الوطن و الوطنية:**

"هكذا جاءتنا الشريعة طافحة بالأدلة الباعثة على غرس محبة الوطن في النفوس و إذكاء شعلتها في القلوب وبذر بذورها و إنماء نباتها.

" فلم يبق لدينا إلا أن نبين معنى الوطنية الحقة و هي الدين و اللغة و الجنس فمن حافظ على هذه الأمور الثلاثة فقد حافظ على وطنية و من أضاعها فقد أضاع وطنيته فلذا هل نسمعه يقول ألا وطني و لا دين لي نحكم عليه بأنه لا وطنية له.

" و ليست الوطنية مقصورة في الخدمة على طائفة مخصوصة دون أخرى بل كل شخص في دائرة عمله يستطيع أن يكون وطنيا و طالما كنت أودّ أن أحدث بهذا لما خامرتني هذه الفكرة حتى صرت مؤمنا بها و من ألطف ما حدثني به ابن و صديق عن العلامة المرحوم الشيخ عبد الحميد بن باديس محيي الجزائر أنه كان يقول لو عمل كل شخص و لو في دائرة محدودة لفائدة الوطنية بالمعنى المقدم لحصلت فوائد لم تدر بخلد و لم تجر على خاطر كما لو كان أشخاص ينزلون محلة قذرة و اعتنى كل واحد بإزالة ما أحاط لأصبحت في برهة من الزمن نقية من الأدران..

"و لنبيّن هذه النواحي التي يمكن أن يقوم فيها كل شخص بمجهود خاص حتى يكون خادما لبلاده .

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

"فالعالم في استطاعته أن يكون وطنيا وهو لم يخرج عن دائرة علمه فأنه أن تفانى في بحثه العلمي و ضحّى و أنتج مما يجعل رأس أمته عاليا خدم بذلك وطنه فإن النهضة الفكرية حياة للأمة و بعث لها من مرقدها و لا تستطيع أمة أن تحكم نفسها بنفسها إلا كان فيها رجال في مقدورهم أن يخدموا الفكر البشري حتى يكون ذلك الفكر في مقدوره أن يقدم لأمته ما تحتاجه في نضالها الذي تقوم به للإحراز على مستواها اللائق بها أو تحصل غلى منفذ للنور إن كانت من الأمم أمثالنا التي كانت أن تحرم التنفس.

"و كان من له مَساس بالتعليم مُعلّما كان أو مُتعلّما في استطاعته أن يُسدي لوطنه خدمات جليلة فالتلميذ باجتهاده و اعتنائه يؤدّي واجبه و الأستاذ بالإخلاص في مهنته و قيامه قياما صادقا على تلاميذه بإصلاح وإرشادهم إلى الطريق السّوي و على هذين المُعلّم و المُتعلّم مدار صلاح المستقبل و فساده فهما الفلك الدائر.

"و التاجر هو من أكثر الناس مساسا لخدمة الوطن بعمله و مهنته فإنه إذا استقى ما أنتجته بلاده ورغب فيه و سعى في انتشاره أحيا نهضة اقتصادية في بلاده و الاقتصاد أقل شيء تتجه إليه أنظار من يخدم و يسعى في رفع مناره.

"و التاجر المخلص خادم لبلاده بإخلاصه لأنه يسعى في حفظ مالها الذي به قوامها و لو راقب الله تجار الأمم الضعيفة و راعوا لبلادهم ذمة لخففوا عنها بعض الويل و أسدوا لها من صنائع المعروف و أيادي الإحسان ما يحفظها من الهلاك المبيد و التردي السحيق.

"وأنا نرجو آملين أن يعلم تجارنا واجبهم كي يساهموا مساهمة فعالة في خدمة الوطن فإن الحاجة إلى عملهم في دائرة تجارتهم كالحاجة إلى العمل السياسي و لعل ما هم فيهٌ أقرب رحمة بالقضية و أشد مساسا بالاتجاه المقصود و السبيل المسلوك.

"و ليست الوطنية مقصودة في هذه الحرف بل هي تجري في كل واد و تدخل في كل قضية فمن راقبها في الجليل و الحقير وجدها لا تشذ عن شيء فليستقم كل منا في أمره و يبذل وسعه.

"أيها الأفارقة قد حان لكم وقت العمل في كل ميدان و في كل منحى و تمهدت السبل و زالت العقبات فانظروا إلى مستقبلكم و اسعوا للحياة و اكدحوا إلى غايتكم كدحا و لا ترقبوا ساعة غير هذه و لا ميدانا غير هذا فطالما ذقتم الأمّرّيْن فضاقت بكم السبل و تقطعت بكم الأسباب فها قد أفسح الله لكم ميدان العمل ليرى ما أنتم فاعلون."

" إفريقيا الفتاة"، 2 فيفري 1943. الزعيم و الحركة الوطنية:•

"الحياة مراحل. و ما من إنسان إلا و له في تاريخ حياته أطوار، فما ينفك ينتقل، و ما ينفك يصبو إلى مرحلة جديدة، حتى يبلغ الغاية و يحط الرحل عند المأمول.

"تلك هي سنة الله في ابن آدم باعتباره فردا؛ فكيف يكون و هو جماعة؛ بل كيف يكون و هو أمة؟ لا شك و إن الحرص و الأمل ههنا ينقلبان إلى استماتة و تفان في الحياة بمعناها السامي، لأنا أن فسرنا الحرص و الأمل باعتبار الفرد بالنفعة الذاتية، فلا يمكن لنا أن نفسرهما باعتبار الجماعة إلا للمصلحة العامة.

مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 23 العدد 02 السنة 2023 ص ص549/566
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

"إذن فدأب الكائنات أن تنتقل من مرحلة إلى أخرى و تظهر إلى درجة أسمى من التي هي فيها و ذلك علامة حيوتها. و هي أظهر في الإنسان منها في غير، و في الأمة أكثر منها من الفرد. لكن هل في مقدور أي أمة أن تقطع مراحلها التي فرضتها عليها طبيعة الحياة بدون التفاف حول حزب و زعيم ؟

"هذا ما نريد التحدث عنه، فأما الحزب فهو المنظمة التي تتمثل فيها رغائب الأمة بأجمعها. وهو اللسان الناطق بآمالها و المعبر عن آلامها، وهو قلبها الخفاق الذي يستدل بنبضه عن حياتها؛ وبسكونه عن موتها. فالأمة هي حزبها. و يكفي شاهدا على ما نقول تاريخ الأمم السالفة و المعاصرة. فكل نهضة قديمة أو حديثة في أمّة غَبَرَتْ أو لازالت في ريْعان شبابها أنما مصدرها حركة قومية قد اضطلع بتحمّل أعبائها حزب وطني جمع تحت لوائه أشتات تلك الأمة و سار إلى الغاية السامية التي تصْبو إليها. و هذه فرنسا خَرَجَت من حربها الأخيرة مهيضة الجناح لم تنته من عقد الهدنة حتى سارعت بتشكيل حزب تريد ضمّ أشتات الشعب تحت لوائه، و كذلك صنعت ألمانيا بعد 1918 حيث انضمّت تحْت حركتها الوطنية الاشتراكية التي أخرجت اليوم للعالم ما أبْهَتَه!

"" و أما الزعيم فهو إكسير الحركة و قطب رَحاها تَنْبعث بانْبعاثه، و تمْشي خلْفه أينما مَشى و يسْتقيم سيْرها كلّما كان معها فإذا ما غاب عنها طوْعا أو باستئثار الحوادث الهوْجاء اشتدّت حيْرتها حتى يعود إليها. فكما أن الأمة تتمثّل في حزبها فإن الحزْب يتمثّل في زعيمه.

"والآن ، ماذا ينقصنا نحن من كل هاته الأسس التي يبني عليها المستقبل؟ أهو الحزب؟ أم التفاف كل الطبقات حوله؟ أم هو الزعيم ؟

"لا شك و أن الذي ينقصنا هو رجوع الزعيم. ذلك أن الحزب قائم على رأس الأمّة تعمل حسب المبادئ المقرّرة من قبل و على الخطة التي تمليها الظروف. و التفاف الشعب حوله على اختلاف طبقاته و نزعاته أمر واقعي لا نزاع فيه.

"أما الزعيم فهو بيننا يواصل الكفاح نأتمر بأمره و نسير على أثره وهو رئيس الحزب اليوم الحكيم الحبيب ثامر.

"على أنا إذا طلبنا رجوع المجاهد الأكبر الحبيب بورقيبة و ألححنا في الطلب فما ذلك ألا لكونه رمز الحركة الوطنية الحي و الرجل الذي اختبر القضية التونسية و عالج معضلاتها و الشعب لا يرضى أن يقرر مصيره و لا أن يقف موقفه الحاسم في هذه الظروف الدقيقة دون أن يكون زعيمه مشرفا عليه."

• **" إفريقيا الفتاة"، 3 فيفري 1943. الإيمان بالشخصية التونسية:**

"منا من يحتقر أمّته إذا قارن بينها و بين الأمم العظمى فيظنّ أن الأمّة بقوّتها و أموالها و مساحة أرضها و عدد أفرادها فحسب. و كلّما التفت إلى الأمّة التونسية وجدها ضعيفة فقيرة ضيقة البلاد قليلة العدد فيتنهد من أعماق صدره و يقول في نفسه أو يقول لمن ينصت إليه:' أننا ضعفاء فقراء فما عسانا أن نستطيع فهل لنا أموال نقتني بها ما تحتاج إليه بلادنا؟ أم هل لنا سلاح نقاوم به أعداءنا ؟' و يحلي قوله بمثل من أمثال اللغة الدارجة : ' قادم على الجبل بقادومة' ثم يرجع إلى ما كان عليه من لعب الشطرنج إن كان لعابا أو معاقرة الخمر إن كان سكيرا.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

" لا ننكر أن قوة الأمة و غزارة أموالها و اتساع أرضها و كثرة أفرادها من مظاهر عظمتها المادية غير أنها تمتاز بشخصية تقوى أو تضعف بارتفاع الأمة أو بانحطاطها فالأمة مثل الفرد لها شخصية تميزها عن سائر الأمم و أهم عناصر هذه الشخصية هي الدين و اللغة و الماضي و الآمال و الأخلاق و العوائد بما فيها من محاسن و عيوب و الأمة التونسية كسائر الأمم لها دينها و هو الإسلام و لها لغتها و هو اللسان العربي و لها ماضيها و آمالها و أخلاقها و عوائدها.

" فواجب أمتنا بعد أن تؤمن بهذه الشخصية أن تحتفظ بها و تعبرعنها تعبيرا واضحا محسوسا يجعل سائر الأمم تحترمها و تعترف بأنها تستحق الحياة و الحرية.

" فكيف يكون الاحتفاظ بهذه الشخصية أولا ؟

" لنتمسّك بأصول الإسلام و لنتْرك بلا تردّد و لا تخوّف كلّ ما تراكم عليها من البدّع طول عصور الدول الإسلامية .و لنتعلّم اللغة العربية تعليما جيّدا فاللغة من أمْتن الرّوابط بين عناصر الأمّة كلّها و هي التي تمكّننا من الاطلاع على ماضينا.و لنطّلع على تاريخنا حتى نتعلّم أطوار تقدّم أمّتنا فيما مضى من العصور و أطوار تقهقرها ففي كل ذلك عبرة لمن يريد أن ينتفع بتجارب السلف.و لنحتفظ بآمالنا القومية فهي التي تربطنا بالحياة نعيش بها و نعمل لتحقيقها و نضحي بكل عزيز لدينا في سبيله.

و لنبق على أخلاقنا و عوائدنا و لنتجنّب التقليد الأعمى و ليس معنى ذلك أن نمْكث جامدين معرضين عما يحدث حوْلنا من تطوّر الأمم الأجنبية و

رُقيها بل يجب علينا أن نلغي من أخلاقنا و عوائدنا ما نراه أصبح غير لائق بهذا العصر و أن تقتبس من أخلاق غيرنا و عوائده و مخترعاته ما يستحسن فنكسبه صبغة قومية حتى يصير مظهرا من مظاهر شخصيتنا فلا تظن أن الاحتفاظ بالشخصية القومية يكون بالبقاء على كل قديم و اجتناب كل جديد بل الشخصية الحقة تأبى الجمود فهي حية تتطور و تنمو بفضل ما تجتنيه في طريقها.

" و شخصية الفرد أن كانت قوية تأبى إلا أن تبرز في مظاهر محسوسة واضحة فتبعث على التعبير عنها و هذا التعبير قد يكون فنيا يستخدم الألفاظ و الأنغام أو الأشكال أو الألوان و قد يكون أيضا عمليا فتبرز الشخصية فيما يقوم صاحبها من الأعمال العلمية أو الاقتصادية أو السياسية أو الحربية. و كذلك شخصية الأمة إن كانت قوية فإنها تميل كل الميل إلى البروز و تبعث أصحابها على إظهارها فيعبرون عنها تارة بأقوالهم و طورا بأفعالهم. أما نحن فطالما وصفنا شخصيتنا في المقالات و الخطب و تغنّينا بقديم مجدنا و حسن أخلاقنا و لذيذ آمالنا و لقلما عملنا عملا منظما متواصلا يرمي إلى تحقيق غاياتنا إذ تصدنا العراقيل تارة و يعوزنا الثبات أخرى .أما اليوم فقد زالت العراقيل أوهي زائلة و ما بقي علينا إلا أن نتزود بالثبات و أن نبرز شخصيتنا بأعمال منظمة مستمرة مثمرة تخرج بآمالنا من عالم الخيال إلى عالم الحقيقة."